

الأبعاد التربوية من خلال تفاعل الحجاج الذهني وتهذيب القول

في نماذج من القرآن الكريم

Educational dimensions through pilgrims' mental interaction and refinement of speech in examples from the Holy Qur'an

د(ة). خبيل وهيبة*

تاريخ النشر: 2025/06/20	تاريخ القبول: 2025/01/18	تاريخ الإرسال: 2023/12/26
-------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص:

يهتمّ بحثنا على تتبع الأبعاد التربوية للنسق الحواري الذهني والمعرفي في التفاعل القولّي عند رسل الله مع أقوامهم في ظلّ علاقة المتكلّم بما يقول، ومسلّكهم التّهذيبيّ في سبيل تبليغ رسالة الله تعالى، تأسيساً على أطروحات الدرس اللّساني المعاصر، وبعض أسس الدرس اللّساني التّراثي، في مقارنة تداوليّة معرفيّة تتبّع التفاعل العقليّ القائم على الأدلّة والبراهين الدّالة على وحدانيّة الله تعالى، كما تتبّع التفاعل بين الحجاج السّليم والتّهذيب من جهة ذوات الرسل، وبين الحجاج المغالط وفعل خرق التّهذيب من جهة الدّوات الرافضة للتّوحيد، في ظلّ تفاعل قولّي يسعى لتحقيق مقاصد تربويّة خاصّة وعميقة أهمّها إحقاق الحقّ ودفع الباطل بشكل عمليّ وتربويّ.

الكلمات المفتاحية: الحجاج، التّهذيب، المناظرة القرآنيّة، التفاعل القولّي والذهنيّ المعرفي، المقاصد التربويّة.

Abstract:

Our research is concerned with tracing the educational dimensions of the mental and cognitive dialogic system in the verbal interaction of God's messengers with their people in light of the speaker's relationship with what he says, and their edifying behavior in order to convey the message of God

*مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري- تيزي وزو،

omhadjer15@gmail.com

Almighty, based on the theses of the contemporary linguistic lesson, and some foundations of the traditional linguistic lesson, in a deliberative approach. Epistemology traces the rational interaction based on evidence and proofs that indicate the oneness of God Almighty. It also traces the interaction between the sound pilgrims and their purification on the part of the people of the Messengers, and between the fallacious pilgrims and the act of violating the discipline on the part of the souls who reject monotheism, in light of verbal interaction that seeks to achieve special and profound educational goals, the most important of which is achieving Truth and repelling falsehood in a practical and educational manner

Key words: Pilgrimages, refinement, Quranic debate, verbal and mental cognitive interaction, educational objectives.

*** **

المؤلف المرسِل: وهيبة خبيل، mhadjer15@gmail.com

مقدمة:

نسعي هذا المقال مقارنة التفاعل القولي (المناظرة أساسا) لعينة من رسل الله مع أقوامهم وفق الأبعاد التداولية، ووفق خصوصياتها المعرفية على وجه خاص، انطلاقا من آليات المناظرة الأساس من حجاج وجدل، على اعتبار من أنها "بناء عقلي منطقي" و"أفعال تكلمية تواصلية"، ووفق أخلاقياتها ومنهجياتها فيما يُعرف بالتهذيب في الدرس اللساني الذي قن الحوار وضبط آلياته، وهذه تلك الآليات الهامة التي تنشأ عن التفاعل القولي والذهني المعرفي بين ذوات الرسل وذوات الكفر، فالرسل لا تتواصل بالقوة مع أقوامها أو مع ذوات الكفر تحقيقا لأمر الله تعالى الذي قال لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (125) (سورة النحل)، فعندما نريد أن نتواصل مع الغير فإننا نعتمد على اللغة كوسيلة لهذا التواصل، غير أن اللغة لا تمثل من هذه المنظومة إلا واحدا من المكونات التي تُحقق ذلك، اعتبارا أن ما نحققه تفكيريا لا يتوازي مع ما ننجزه لغويا، بمعنى أننا نحاج بما نملكه من قواعد دفاعية هجومية ونحن نوظف اللغة، وبالتالي ينتج الحجاج (Argumentation) من عمليات ذهنية قبل أن تكون عمليات لغوية، حيث تنطلق الذوات المتجادلة في المناظرة القرآنية من التفكير

في الآليّة الحجاجيّة الملائمة لطبيعة المقام وتراعي خصوصيّة الخصم الذي تسعى لإقناعه وتغيير رأيه أو العدول عنه، ثمّ تطبيقها والإعلان عن فحواها.

لذلك، فإنّ هذه الدراسة يبتغي مقاربة الحجاج في إطار الدّفاع عن افتراض أنّنا عندما نصل إلى استعمالاتنا اللّغويّة، فإنّنا ننطلق في ذلك من بناء ذهنيّ تنسجم هياكله مع الهندسة المعرفيّة للغة، بمعنى أنّ أيّ عمليّة حجاجيّة عند الإنسان تعود في الأصل إلى عمليّة ذهنيّة معرفيّة، وهذا يعني أنّ الحجاج لا يمكن أن يستمدّ قوّته ونجاعته الإقناعيّة والتأثيريّة إلّا من خلال قوّة ودقّة وعمق التّخطيط اللّغوي الذي ينطلق من الفكر نحو الإدراك عبر الوعي، وهو الأمر الذي لا يمكن أن يتمثّل في أرقّ صوره إلّا في النّصوص القرآنيّة، فالحديث عن الحجاج في القرآن الكريم هو حديث عن القصديّة، منه يستلزم توقّر مجموعة من الكفايات المعرفيّة التّواصليّة خاصّة الكفاية البلاغيّة التّداوليّة التي تقنّن المناظرة باعتبارها تفاعلا لغويّا يبتغي تحقيق مقصد إظهار الحقّ ودحض الباطل بالإقناع والتأثير في الغير.

ولمّا كانت المناظرة تفكيرا جمعيّا وجب تأطيره وصيانتَه بجملة من الحقوق والواجبات التي تجعل التّواصل بين الأطراف الفاعلة يعتمد أساسا على الحوار العقلاني القائم على التّفاعل القولي والتدافع الكلامي، الهدف منه البحث عن الاتّفاق حول مسألة النزاع وإبراز الحجج في سبيل البّحث عن الحقيقة بطريقة جماعيّة مشتركة، وجب الاستناد في ذلك إلى قواعد تبليغيّة وضوابط تهذيبيّة تقنّنه وتحقّق مقاصده.

فكيف يقوم النّسق الفكري للمناظرات القرآنيّة على مسلك حجاجيّ سليم يحقّق مقاصد تربويّة هامّة يبتغي إحقاق الحقّ ودفع الباطل من جهة الرّسل؟ وبالمقابل، كيف يبني ذوات الكفر حجاجهم المضاد؟ وما هو النّمودج التّهذيبي الذي اعتمده أطراف المناظرات كاستراتيجيّة حجاجيّة فعّالة تعضد أفعالهم وتحقّق مقاصدهم المتباينة؟

1. تشكّل الحجاج الذّهني المعرفي: الطبيعة والآليات:

يتحدّد الحجاج المعرفي انطلاقاً من «الاختلاف البنيوي بين أطروحتين أساسيتين هما: التمثيل للغة وتصوّرها لها وفق ما نمتلكه من إدراك للموضوعات، فالحجاج من حيث التمثيل اللّغوي هو محاولة فهم القصد الحجاجي الذي لا يمكن أن يبني إلا طابعها تصوّري... لكن أن نقنع يعني أن نملك من المعارف ما يكفي لذلك»¹ منه فالمناظرة باعتبارها نمطا من أنماط التّواصل الإقناعي التي تعتمد على المشافهة ومقارعة الحجّة بالحجّة بواسطة اللّغة التي تنبني وفق تصوّر خاصّ بالعارض وتصوّر آخر مخالف يتبنّاه المعارض، وهو بذلك يتجاوز الحجاج الذي يتحقّق بواسطة اللّغة فقط، ليصل به إلى «التصوّر الذي من الممكن أن يكون صائبا، وهو الدّفاع بالحجاج نحو الذّهن والبرمجة اللّغويّة تمثّلا وتصوّرا وإدراكا، وهذا يعني أنّ الحجاج لا يمكن أن يستمدّ قوّته إلا من خلال حجم التّخطيط اللّغوي الذي ينطلق من الفكر نحو الإدراك عبر الوعي فكلّ قصد لغويّ هو في الأصل تخطيط ذهنيّ يُبنى وفق آليات وشروط المتكلم والمخاطب والسّياق... أي أنّ الحديث عن بناء الحجاج معرفيّاً هو حديث عن ما نسمّيه بإدراك القصديّة»² الأمر الذي يقودنا مباشرة إلى وجوب توفّر مجموعة من الكفايات المعرفيّة التّواصلية التي تقنّ المناظرة باعتبارها تفاعلا لغويّا يبتغي تحقيق مقصد إظهار الحقّ ودحض الباطل بالإقناع والتأثير في الغير ف «الوقوف على اللّغة غير كاف لرصد سلوك الحجاج»³، وللتعمّق أكثر في الفكرة نستعين بما قدّمته التّدالّية المعرفيّة في هذا المجال وإن كانت دراساتها حديثة وغضّة.

ولقد ميّزت كبريرات أوروكيوني هذه الكفايات وجعلت منها أربعة وهي: الكفاية اللّسانية والكفاية الموسوعيّة، والكفاية المنطقيّة، والكفاية البلاغيّة التّدالّية⁴، غير أنّنا سنركّز بالدرجة الأولى على الكفائيتين «الموسوعيّة والمنطقيّة» ذلك أنّ هاتين الكفائيتين تخلقان أرضية مشتركة بين العارض والمعارض فتسمح لهما بالتناظر الفعّال والبناء، فالكفاية الموسوعيّة «تشمل المخزون الذّهني المعرفي من معتقدات وأنساق قيم مستقاة من التّجارب والخبرات... إلخ، والانتظام المعلوماتي الهائل في دماغ كلّ فرد، والمنطقيّة تحقّق إمكانية الاشتقاق المعنوي لمعان جديدة تعتمد على كمّ المخزون السّابق، وذلك من خلال عمليّات استدلالية محكومة بمبادئ المنطق الاستنباطي والاحتمال... إلخ فالتفاعل دائم

ومستمرّين هذين النّمطين من أنماط الكفايات⁵، ثمّ أنّ "الكفاية البلاغيّة التّداوليّة" تعمل على تحوير الكفائيتين السّابقتين وتمكّن مستعمل اللّغة من الاستخدام السّليم والمناسب للعبارات اللّغويّة حسب السّياق التّواصلي، ليكون "الكفاية اللّسانية" مهمّة تمكين «مستعمل اللّغة الطّبيعيّة من الفهم والتّأويل للكثير من عبارات الخطاب أثناء مواقف الاتّصال المتباينة، وبالتالي فهي تمثّل الحدّ المعرفي الأدنى من دماغ الإنسان»⁶، وبسبب تمثيلها للحدّ الأدنى من المعرفة فهي قاصرة عن إنتاج معان تامّة أو تأويل مقاصد الخطاب بمفردها، ممّا يقتضى وجود وحضور الكفايات المذكورة سابقا لتتعاوض معها تحقيقا للفهم السّليم والتّأويل الصّحيح.

من خلال عمليّة التعاضد نكتشف الأهميّة المعرفيّة للبنية المنطقيّة للمناظرة على اعتبارها تفاعلا قوليا منطقيا بامتياز، فالمناظرة لا تقوم إلّا على التّبادل الحجاجي بين العارض والمعترض، ممّا يعطي ديناميّة لعمليّة إنتاج وبناء آليات الإقناع لتندرج الحجج وفق مقصد المتناظرين ممّا يجعل «التّداعيات التي يملكها الدّهن في عمليّة إنتاج اللّغة تجعل من التّواصل الحجاجي تواسلا معرفيا يجب فكّ شفرته، بل إنّه تواصل بالغ الحساسيّة بالنّسبة للسّياق، فانتقاء حيّز حجاجي دون آخر يتمّ فقط من أجل نقل المعنى، لكنّه يجعل من القارئ (المتلقّي/المخاطب) مؤوّلا نموذجيا...»⁷، ليصير لزاما على الباحثين توسيع دائرة دراسة الحجاج وتحويلها من دراسته لغويّا إلى البحث فيه معرفيا.

وبالحديث عن آليات بناء الحجاج في المناظرة القرآنيّة فإنّنا يجب أن نقف عند أهمّ قضيّة تفعّل عمليّة نقل دراسة الحجاج من اللّغة إلى الدّهن وهي: مقصد المناظرة القرآنيّة التي عدّها القرآن منهجا ربّانيا تعليميا ووسيلة دحض الشّرك والدّعوة إلى التّوحيد والإقناع بخطأ المعتقدات الشّركيّة التي وجد الرسل أقوامهم عاكفون عليها.

ويُبنى القصد بناء معرفيا ف «القصدية هي مشروع معرفي لا يمكن أن يُبنى إذا على طبيعة التّصورات التي يقدّمها لنا المحيط، فكلّما كان الحافز التّصوري أكبر، فكلّما انخفضت وتيرة الحافز تمثّلا وفهما، بمعنى أنّ بناء الأفكار والقضايا التي ستعرض كحجج لا يمكن أن تنسج إلّا عبر خارطة طريق تنطلق من الإدراك نحو التّمثّل ثمّ اللّغة، وهذا كفيل بأن يدفع بالقول إنّ مسار بناء الحجاج هو مسار ينطلق من الدّهن نحو

اللغة وليس العكس»⁸، فاختيار الرسل للمناظرة من أجل التّواصل الحجاجي مع أقوامهم أو مع من ادّعى الألوهيّة هو اختيار لنمط خاص من أنماط التّواصل المعرفي الذي تحتاج المقاصد الخاصّة به إلى فكّ لشفراته الحاوية للمعاني العميقة والمتّصلة بصفات الله تعالى وأحقّيّته بالعبادة والتّوحيد والظّاهرة من خلال آياته وصفاته وأفعاله، بل إنّ هذا التّواصل الحجاجي الخاصّ يعدّ تواصلاً «بالغ الحساسيّة بالنّسبة للسياق، فانتقاء حيّز حجاجي دون آخر يتمّ فقط من أجل نقل المعنى، لكنّه يجعل من القارئ (المتلقّي/المخاطب) مؤوّلاً نموذجيّاً لهذا السّبب فإنّ دراسة الحجاج يجب أن تنحى هذا المنحى الذي لا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن يكون تحقّقاً لغويّاً فقط، بل يجب أن ننقل معركة دراسة الحجاج من مختبر اللّغة إلى مختبر الدّهن، وهذا كفيل بأنّ يعطينا فرصة جيّدة للبحث عن حدود التّمايز بين الحجاج اللّغوي والحجاج المعرفي، ممّا يعطي الانطباع أنّ تأويل الخطاب تتحكّم فيه المعطيات التي لها صلة بالتّجربة، إذ تظهر القصديّة من خلال توظيف مجموعة من الدّعايات الراسخة التي تجعل التّواصل تواصلاً واعياً شديد الحساسيّة في السياق»⁹، لذلك نجد أنّ كلّ قوم من أقوام الرسل قد استعملوا في تواصلهم مع النبيّ الذي أرسل إليهم ملكة لغويّة خاصّة بها، فضلاً عن اجتماعها في هذه الملكة اللّغويّة بالرسول الذي جاء يدعّوهم إلى توحيد الله تعالى، ذلك أنّ الله تعالى أرسل كلّ الأنبياء والرّسل إلى أقوامهم فحسب، إلّا النبيّ محمّد صلّى الله عليه وسلّم الذي أرسله للعالم أجمع وهو الاستثناء الوحيد.

منه فلكلّ رسول سياق تواصلٍ يختصّ به أثناء التّواصل مع قومه، وكما رأينا في التّصورات الدّهنيّة للأقوام ورسلمهم نستخلص أنّ كلّ حجاج في إطار ردود الأقوام على رسلمهم هو انعكاس لوعي جمعيّ قنّ معرفتهم ورسخّ فيهم تجارب آبائهم الأوائل، وبهذا فإنّ ردود القوم قد تتباين بين حجج منتجة لغويّاً ضمن ثقافة القوم ومعتقداتهم الراسخة التي ورثوها عن الأوائل، وإمّا ننحو منحى إدراكياً بتمحيص الأقوام لحجج الرسل وتدبّر معانيها وفق السياقات الواردة فيها.

وتجدر الإشارة أنّ المناظرات القرآنيّة تسير على وتيرة واحدة ضمن نسق واحد وبنية معرفيّة أساسها: الدعوة إلى التّوحيد يقابلها الدفاع عن الشّرك بالله ورفض التّوحيد، وفي خضمّ التّنافع بالحجّة بين الخصوم تقدّم المناظرات قاعدة معرفيّة

تداولية تتأسس على "تغيير وضع" والبحث عن "حلّ لمعضلة الشّرك بالله"، فتسير المناظرات بوصفها حوارات حجاجية أو تفاعلات حجاجية وفق نسق معرفي نمثله في الخطاطة التالية¹⁰:

النّمط الحواري	امتداده الخطابي الشكلي	المحتوى المعرفي المرتبط به	النشاط المصاحب
التنازع الخطابي	المناظرات	المعرفة المنطقية (التأمل والاعتبار)	نشاط العقل بصفة أساسية المرتبط بالكفاية المنطقية البرهانية.
الانغلاق الخطابي (الانقياد الذاتي وعدم الاعتبار بالآخر)	الاستهواء وصدّ الحوار (ذاتية الرأي)	العنف السيكولوجي والرمزي	نشاط الوجدان بشكل أساسي.

1.1. نمط بناء النسق في المناظرات وفق الأساس المعرفي:

تتميّز المناظرات القرآنية عموماً ومناظرات أولى العزم من الرسل على وجه خاص بطبيعة حوارية بناءة تبتغي تحقيق الحقّ ودفع الباطل، بالدعوة إلى التوحيد ونبذ الشّرك، ممّا جعلها تمتلك معجماً لغوياً خاصاً يمتاز بالغنى بمفردات تُبين عن وجود (الأنا) ومعلنة دائماً عن (الأنت) الذي يعدّ طرفاً رئيساً في بناء نسق المناظرات، فبانتفائه تنتفي، وبحضوره يُبنى النسق العام ويُمهد للنسق الخاص بالتشكّل تدريجياً وفق سيرورة التفاعل القوليّ ونسق بناء الحجج من الطرفين.

وتعدّ المناظرات باعتبارها الشّكل الأكثر ديناميكية ضمن التّفاعل القولي من أهمّ التّفاعلات الخطابيّة المعرفيّة حيث يُعرّض فيها الرّأي والرّأي المضاد سعياً لإحقاق الحقّ، بفضل الحجج المقدّمة من الطرفين سعياً لحصول الإقناع والتّأثير في الطّرف الآخر.

ثمّ إنّ المناظرات قيد الدراسة تنقسم في أغلبها إلى قسمين هامّين، يمثّل الجزء الأوّل مقدّمة المناظرة أو استهلال التّفاعل المناظراتي، وهذه المقدّمات تتمثّل في «ضرورة الإعداد الكامل- روحياً ونفسياً ومادياً- لذلك المشهد التّواصلي وما يقتضيه من امتلاك لعناصر القوّة...والدعم الإلهي»¹¹، أمّا الجزء الثّاني فيمثّل صلب التّفاعل القوليّ (المناظرة) بعرض الحجج وحصول الغلبة أو الانقطاع.

تمثّل مقدّمات مناظرات الرّسل مع أقوامهم أو مع من ادّعى الألوهيّة (التمّرد وفرعون) أوّل اتّصال معرفيّ بالمناظر، يتجلّى ذلك الاتّصال في قول الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (سورة هود)

﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (41) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ... (42)﴾ (سورة مريم)

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ... (258)﴾ (سورة البقرة).

﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (43) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَلَّهُ يَنْذَكُرُ أَوْ يَخْشَىٰ (44) قَالَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ (45) قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ (46) فَأَنْتَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ (47) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (48)﴾ (سورة طه).

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ... (67)﴾ (سورة البقرة)

تسعى هذه المقدّمات الواردة في الهيكل البنائي للمناظرات القرآنيّة بين الرّسل وأقوامهم معرفيّا بـ «الاتّصال الأوّلي، أو ما يُعرف في علم التّواصل الحديث باليّة التّعارف، كما أنّها إعلام بماهيّة المحاور، أي بوضعه (فهو رسول الله)...وإعلان كذلك

عن مهمته التي جاء أو أرسل من أجلها»¹² ومثال ذلك، قول الله تعالى ﴿فَأَتَيْنَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى (47) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (48)﴾ (سورة طه) وفي الآية الكريمة فضلا عن تعريف المحاور بنفسه وبمهمته إلا أنها تحمل تلميحا عن شخصية الخصم وصفتها الأساس (ادعاء الربوبية والألوهية) وهذا ما يفسره تذكيره بحلول العذاب على كل من كذب بالله وأعرض عن عبادته؛

وسيقف لرسول الله موسى بمعية أخيه هارون عليهما السلام مهمة تحرير بني إسرائيل من استعباد فرعون، قال الله تعالى على لسان موسى عليه السلام ﴿...فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى (47)﴾ (سورة طه)، غير أن فرعون سلك مسلكا اعتراضيا وذلك بتذكير موسى عليه السلام بمساره بين أهل فرعون الذين قاموا بتربيته ورعايته، قال الله تعالى على لسان فرعون ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (18) وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (19)﴾ (سورة الشعراء) في محاولة منه إبطال شرعية طلبه بإرسال بني إسرائيل معه وعدم تعذيبهم فهو قاتل، وهارب، وناكر للجميل حسب قوله وهذه الصفات الأخلاقية غير السليمة لا تتلاءم مع صفة الرسول، وفي قوله هذا حجاج مغالطي كون فعل القتل لم يكن عمدا، وفي ذلك تشويه للحقائق فأراد فرعون به تغليب العارض والمستمع على حدّ سواء، فضلا عن سلوكه مسلك الغضب¹³ المذموم في المناظرة حين كذب وجود ربّ العالمين، في حين تستلزم عملية التناظر طلب الحجّة على قوله، ممّا أدخل التفاعل القولي المتناظرين في دائرة «الانغلاق أو التعاند الخطابي»¹⁴ بل وزاد من اعتراضه وطعنه في قول موسى عليه السلام حين أتى بـ «الحجّة الموجهة إلى الإنسان، بمعنى التوجه إلى ذات الإنسان، وليس إلى موضوع المناظرة نفسه والحجج التي يقدمها المحاور»¹⁵، ولكن لما اعترف سيّدنا موسى عليه السلام بخطئه (فهو نبيّ ورسول ربّ العالمين قدوة للعالمين) وذكّر فرعون بأنّه مؤيد من ربّ العالمين ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (20) فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (21)﴾ (سورة الشعراء)، وبهذا الردّ إحراج لفرعون الذي عدّ نفسه إليها، فلجأ إلى السؤال عن صفات ربّ موسى عليه السلام وماهيّته، وبسؤاله هذا

انفتحت المناظرة من جديد قال الله تعالى على لسان فرعون ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ (49) (سورة طه)، وفي موقع آخر قال ﴿...وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (23) (سورة الشعراء) وفي قوله هذا نزوع نحو معرفة ماهية الرب، فهو يعلم أنه مدّع.

نلاحظ في هاتين الآيتين أنّ سؤال فرعون لموسى وهارون عليهما السّلام جاء على خلاف المنطق، فقول الله تعالى على لسان موسى عليه السّلام ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ يستلزم إجابة واحدة وخاصة بنوع السؤال المطروح وهي (ومن هو ربّي الذي أرسلكما) غير أنّه تملّص من هذا الردّ المنطقيّ إلى ردّ آخر رغبة منه الاحتفاظ بصفة الربوبية والألوهية اللّتين نسبهما إلى نفسه فقال ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾، وهذا الردّ المخالف لأفق التوقع لدى المتلقّي يحتمل ثلاثة أوجه¹⁶:

الأول: أن يكون فرعون قد أراد بنسبة الربّ إلى موسى وهارون الاستهزاء بهما وعبادتهما.

الثاني: أن يكون لسان فرعون عاجزا عن النطق بما لم يعتد قوله، فهو الذي لم ينقطع عن استعباد قومه وادّعاء ربوبيّته عليهم، وهو القائل ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ (سورة النّازعات، الآية 24) وهو القائل أيضا ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (سورة القصص، الآية 38).

الثالث: أن يظهر فرعون شدة إنكاره لما ادّعه موسى وحده سخطة وغضبه على ما قاله، فكأنه يقول: إن كان هناك ربّ كما تدّعي فهو ربّك وليس ربّي، فأنا الربّ الذي لا يُعبد غيره، وهذا لإيقاع الرهبة والخوف في نفس موسى، ولتثبيت ربوبيّته في أذهان حاشيّته.

ليجيب موسى عليه السّلام على طلبه معرفة حقيقة الربّ بـ ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (سورة طه) وقال ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾ (53) (سورة طه)، وردّ في موضع آخر ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُتُمْ مُوقِنِينَ﴾ (24) (سورة الشعراء) ثمّ أعقب قائلا ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُتُمْ

تَعْقِلُونَ (28)﴾ (سورة الشعراء)، وهذه الإجابات التي أوردها موسى عليه السلام في ردّه على فرعون تعريفا له برّب العالمين جاءت مقيدة بشرط جوهريّ وهو شرط «اليقين والاعتقاد والإيمان، أي ربّ الكون بسمواته وأرضه وموجوداته، وهذه المظاهر الطبيعيّة تمثّل بالطّبع مجال اليقين والبرهنة على وجود ربّ العالمين، من هنا فجواب موسى التفسيرى لحقيقة الربّ لا يخلو من دلالة حجاجيّة ومن توجيه حجاجي»¹⁷، ليستمرّ بعد ذلك فرعون في توجيه حجج مغالطيّة لا تخدم المناظرة ولا تعتمد إلى تحقيق مقصدها الأساس وهو إحقاق الحقّ ودفع الباطل والرضا به ولو تحقّق على يدّ الخصم، ومن هذه الحجج المغالطيّة نعت سيّدنا موسى عليه السلام بالجنون، قال الله تعالى على لسان فرعون ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (27)﴾ (سورة الشعراء) وفي موضع آخر قال ﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (38) فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (39)﴾ (سورة الذّاريات)، والملاحظ هنا أنّ فرعون اتّهم سيّدنا موسى عليه السلام بالسّحر وقد عدّه في موضع سابق علما (السّحر علم)، قال الله تعالى على لسان فرعون ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأَصْلَبَنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى (71)﴾ (سورة طه)، فلا يمكن أن يكون سيّدنا موسى عليه السلام علما بعلم السّحر وتقنياته وفي الوقت نفسه مجنونا، إنّ الأمر -ها هنا- يثير تساؤلا معرفيا مفاده: كيف يُمكن أن يُنعت سيّدنا موسى عليه السلام بالسّحر والجنون في الآن نفسه، في حين يحتاج علم السّحر كما وصفه فرعون وانتشر في مصر في تلك الحقبة الزّمنيّة من الذّكاء والفتنة والتحكّم الشّيء الكثير؟.

إنّ هذا النّوع من الحجاج الذي يُخالف المنطق يعدّ حجاجا مغالطيا بما يتضمّنه من تحليلات ذهنيّة بعيدة عن التّفكير الذهنيّ السّليم، غير أنّ هذه المسالك الحجاجيّة المغالطيّة تعمل في «نسق متداخل مع بقيّة الأنساق المحيطة به، بحيث إنّ المتلقّي لا يستطيع النّظر إلى جزء دون الآخر لكون جميع مكّونات الصّورة في تناغم وتفاعل مستمر»¹⁸، فالتّعاند الحجاجي يتداخل وأساليب السّخرية والتّهديد والمغالطة والتّنازع الخطابي الذي يحيد عن مسلك البحث عن الحقّ فيؤدّي إلى نوع من الانغلاق الحجاجي

والذي ينتج عن عدم اتّفاق النّسق الفكري على مسلك فكريّ حجاجيّ سليم يبتغي إحقاق الحقّ ودفع الباطل.

كما يؤدّي عدم الاتّفاق هذا، إلى سيطرة رأيان مختلفان على عمليّة التّأويل المحتمل للحجاج المعروض في المناظرة، كما يعمل عدم الاتّفاق على إدراك أنّ هناك تصوّران معرفيّان متعارضان حيث يعمل كلّ طرف على وضع حجج تقرب المتلقّي من فهم المقصود والمبتغى.

1.2. الانغلاق الخطابي لنسق الحجاج الذهني:

عمد فرعون الذي ادّعى الألوهيّة والربوبيّة إلى أشكال من المغالطة الحجاجيّة التي لا تستقيم مع التّفكير الذهني السّليم للبشر، فبناء أيّ نسق حجاجيّ يقوم على ما تفرضه الثّقافة المشتركة للمتناظرين، ويعمل هذا النّسق الحجاجيّ الذهنيّ على إظهار أنّ «المسافة بين إدراك العالم وبين التعبير عنه هي مسافة تتوسّطها عمليّات ذهنيّة وتخطيط معرفيّ دقيق وعميق جداً، بمعنى أنّ مسألة الحجاج هي عمليّة ذهنيّة قبل أن تكون لغويّة»¹⁹، فالقدرة التي يمتلكها المناظر هي التي تساعد على إلغاء المسافات التّواصلية وتقريب الأفكار والأطروحات ووضع حجج ضمن مسلك سليم، وهو الأمر الذي يوصل المتناظران إلى نوع من التّقارب والاتّفاق على المقاصد والغايات ومنه الاتّفاق على التّهايات وحصول الإقناع والاقتناع وتغيير الرّأي وتبني الرّأي الذي يحقّ الحقّ ويُبطل الباطل، الأمر الذي يوجب الانتباه إلى أنّ «كلّ تصوّر هو في الأصل جانب من ذهنيّة خاصّة تقودنا نحو بناء نسق معرفيّ يتوقّف على قدرتنا على استخلاص بنية المستوى العام للنّسق اللّغوي»²⁰ وتأويل مقاصده.

ولقد دفعت الحجج المغالطيّة التي تبناها فرعون في مناظرته مع موسى عليه السّلام إلى تذكيره بحقيقة ربّ العالمين:

ولأنّ السّؤال جاء على شاكلة الحجاج المغالطي، غير المنتظر في مناظرة مفصليّة كهذه المناظرة، فقد جاء جواب موسى عليه السّلام هو الآخر على خلاف ما انتظره التّمرد من وصف لله تعالى، فقد عرّف موسى عليه السّلام ربّه بأثار خلقه وسننه في الكون، قال الله تعالى على لسان نبيّه ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُتُمْ

مُوقِنِينَ (24) ﴿ (سورة الشعراء) وقد أظهر موسى عليه السلام في هذا الردّ «آثار ذات واجب الوجود هو هذا العالم المحسوس وهو السماوات والأرض وما بينهما»²¹، وهذه الحجّة الذهنية التي تستلزم التفكير ليست موجّهة إلى فرعون فحسب، بل هي موجّهة إلى الحاضرين جميعاً، وهو الأمر الذي يؤكّده «ضمير الجمع في ﴿كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ مراد به جميع حاضري مجلس فرعون، أراد موسى تشريكهم في الدعوة تقصّياً لكمال الدعوة، وأنّ مؤاخذه القائل لا تقع إلّا بعد اتّضح مراده من مقاله، إذ لا يؤاخذ بالمجملات»²²، ويأتي ردّه في موقع آخر على الشاكلة نفسها أيضاً وتوخياً للمقصد ذاته وهو إعادة تذكير مدّعي الربوبية والألوهية بحقيقة الله تعالى من خلال آثاره وآياته في الكون، قال الله تعالى على لسان موسى عليه السلام ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (28)﴾ (سورة الشعراء) وهو ردّ مناسب لفرعون الذي اتّهم نبيّ الله بالجنون، فهو في هذه الحجّة العقلية «يحتكم إلى مقياس العقل ويدعو فرعون وقومه إلى استخدام هذا المقياس، فكيف لمجنون إذن أن يدعو إلى استخدام العقل؟»²³؛

ومن خلال ردّ موسى عليه السلام الأوّل والثاني، ومن خلال الحجج العقلية التي لا يمكن إدراكها إلّا عقلياً وبإعمال وتنشيط ذهن السامع والتدبّر والتفكّر في هذه الحجج القويّة نلاحظ أنّها في هذا المقام استعملت «استعمالاً حجاجياً إبطالياً أو تفنيدياً غايته تقويض ادّعاء الخصم (فرعون) وتبكيته ونسفه، فردّ موسى ذو طابع حجاجي إبطالي»²⁴، وهذا الردّ الإبطالي كما نلاحظ فيه من مسوّغات نقض عقيدة فرعون الشّيء العظيم، فمثل مشاهد المشرق ومشاهد المغرب وما بينهما لا ينتبه إليها ولا يفكر فيها إلّا العقلاء، في حين لا يمكن أن توقظ هذه المظاهر مجنوناً أو غافلاً أو صاحب قلب ميّت.

ثمّ إنّ الثّبات على الحقّ والمحافظة على سلامة المنطق أمام حيل الخصوم وحججهم المغالطية المتنوّعة التي تسعى لزعزعة الثّقة بما أتى به المناظر أو بشخصه ممّا يولّد غضباً وارتباكاً لديه ليصل بذلك إلى الوقوع في الخطأ ومنه إفساد الحجّة من الأمور الأساسيّة في المناظرة، وهذا ما قام به موسى عليه السلام أمام فرعون الذي سعى إلى استفزازه بسؤاله عن الله تعالى ثمّ اتّهمه بالسحر تارة وبالجنون تارة أخرى غير أنّ موسى عليه السلام أظهر من الثّبات ورباطة الجأش وناظر بالحجج العقلية مفسداً

ادّعاءات فرعون وحيله بما يلائم ويتوافق مع ثبات الرسل والأنبياء عموما وثبات أولى العزم من الرسل على وجه خاص.

وبعد هذا الثّبات وإيراد الحجج العقلية التي تقنع الخصم والحضور وتعمل على تبكيّتهم وإسكاتهم ومنه تغيير معتقدتهم، لجأ فرعون إلى استعمال سلطته وتهديد موسى عليه السّلام بالسّجن، قال الله تعالى على لسان فرعون ﴿قَالَ لَئِنْ آتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَكَ مِنَ الْمُسْجُونِينَ (29)﴾ (سورة الشعراء) وفي استعمال حجة السّلطة من طرف فرعون لتكون بذلك تعقيبا «يومئ إلى اتّجاه فرعون إلى سدّ باب الحوار وإغلاقه نهائيا، لاستشعاره ضعف موقفه وحججه الواهية أمام قوّة حجاجه وضعف موقفه وحججه الواهية أمام قوّة حجاج النبي الكريم، وهو ما يُعرف بالعنف الحجاجي، الذي يلجأ إليه الخصم الضّعيف لإغلاق المجال التّداولي الذي تنتمي إليه المحاورّة فهذا المجال يقتضي نوعا من التّوازن بين الحجج ومقارعة الدليل بالدليل، لا بالاستهزاء والتهكّم» واستعمال الحجج المغالطة التي تحيد عن مقصد المناظرة الأساس.

2. استراتيجية التّهذيب/ تفعيل الاستراتيجيّات التربويّة في المناظرات:

لما كانت المناظرة تفكيرا جمعيّا وجب تأطيره وصيانتها بجملة من الحقوق والواجبات التي تجعل التّواصل بين الأطراف الفاعلة يعتمد أساسا على الحوار العقلاني القائم على التّفاعل القولي والتدافع الكلامي، الهدف منه البحث عن الاتّفاق حول مسألة النزاع وإبراز الحجج في سبيل البحث عن الحقيقة بطريقة جماعيّة مشتركة، وجب الاستناد في ذلك إلى قواعد تبليغيّة وضوابط تهذيبيّة تقنّنه وتحقّق مقاصده.

لقد أفرزت الدّراسات الغربيّة نماذجا في نظرية التّهذيب²⁵، غير أنّنا نميل في دراستنا إلى العودة للنّمودج الذي وضعه طه عبد الرحمان في كتابه "اللّسان والميزان أو التكوثر العقلي" لأنّه يمسّ بمبدأ الصّدق الذي صاغه للقول والفعل معا، فالقول متعلّق بالتّبلغ أمّا الفعل فمتعلّق بالتّهذيب، فضلا عن أنّه في مرحلة صياغته لهذا المبدأ تدارك نقائص النّظريات الغربيّة بدءًا بمبدأ "التعاون" Cooperative Principale الذي وضعه غرايس وصولا إلى المبادئ الأخرى، مؤسّسا بذلك "مبدأ التّصديق واعتبار الصّدق والإخلاص" الذي استلهمه من الثّقافة الإسلاميّة المشبّعة بتراث ثريّ، فقيّم به

النماذج التهذيبية الغربية فأقامه أساسا على «مطابقة القول للفعل» و"تصديق العمل للكلام"²⁶ وقد صاغه كما يلي: «لا تقل لغيرك قولاً لا يصدقه فعلك».

1.2. الذات وفعل التهذيب:

ابتدأت المناظرة بين نوح عليه السلام مع قومه بإظهار قصده من التناظر، قال الله تعالى على لسان نوح عليه السلام ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (25) أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (26)﴾ (سورة هود)، فكل رسول أرسله الله تعالى إلى عشيرته نذيراً لها من عذاب يوم القيامة، ومبيناً لها سبل تحصيل الخير للفوز بالجنة، أولها توحيد الله تعالى وترك عبادة الأوثان وما دون ذلك من مظاهر الشرك، ولما كان رسول الله نوح جزءاً من قومه فإنه أحسن بالخوف عليهم من عذاب الآخرة، وفعل الخوف الذي صنفته (كاترين كيربراتأوروكيوني) من الأفعال الذاتية يُجلب علاقة خاصة بين رسول الله وقومه، فهو حريص على مصلحتهم، ساع لنجاتهم، وهي مساع ترسم صورة راقية عن تهذيب الرسل تجاه أقوامها رغم اختلاف المعتقد وشدة الكفر وصعوبة تحقيق الإقناع وتغيير معتقدها.

تُظهر الآيات الكريمة في مناظرة نوح عليه السلام مع قومه تحلي رسول الله "بالصدق في القول" حيث نفى امتلاكه لخزائن الأرض ونفى معرفته لعلم الغيب ونفى خروجه من البشرية إلى صنف "الملائكة"، قال الله تعالى على لسان نوح عليه السلام ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا مَنَّ الظَّالِمِينَ (31)﴾ (سورة هود)، فلا يُشترط في النبي أن يكون غنياً ولا أن يعلم الغيب ولا أن يكون ملكاً، ولكن يشترط فيه أن يكون صادقاً في نقل رسالة الله تعالى دون زيادة ولا نقص، وهو الأمر الذي تحرّاه سيدنا نوح عليه السلام في أقواله وصدقته أفعاله، وفي هذا الجواب حفظ لماء وجهه من ادعاءات قومه الذين أرادوا توصيفه بما لا يجب أن يتّصف به، بل صدقهم القول حتى يكون أولاً صادقاً مع الله ثم مع قومه.

وقد أتى نوح عليه السلام بهذا الردّ ملتصقاً بجانب التهذيب فيه بعد اتهام قومه له بالكذب متخذين في ذلك أسلوباً من أساليب التغليب، قال الله تعالى على لسان نوح عليه السلام ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرَاكَ

اتَّبِعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّي الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿27﴾ (سورة هود)، وفي هذا الأسلوب تهديد لماء وجه نبي الله ودفع نحو اتخاذ العنف اللفظي في التناظر بدل اللين والتهذيب، ومنه تفعل علاقة البعد به القوم ونيهم بدلا من علاقة القرب التي نعتقد أنها كانت سائدة قبل الدعوة فنوح عليه السلام فرد من القوم.

وقد تميّزت دعوى نوح عليه السلام "بالإخلاص لله تعالى" فهو لا يبحث عن أجر دنيوي وإنما يبتغي أجره كاملا من الله، قال الله تعالى على لسان نوح عليه السلام ﴿وَيَا قَوْمُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلِكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ (سورة هود)، فقاعدة الإخلاص تنبني على «التجرد المتبادل من أسباب التنازع كالأغراض وغيرها...اتباعا للمعايير الأخلاقية تنافسا في التجرد...والتخلق»²⁷، كما تُظهر الآية تعاضدا بين الإخلاص لله والصدق مع أتباع الله من قومه والذين رفض طردهم وتفضيل سادة القوم عليهم وهذا الصدق من المؤمنين الفقراء يؤدي بالمناظرة للرقى «بالجانب التهذيبي من المخاطبة ارتقاء، إذ بفضله يخرج هذا التهذيب من مرتبة "التأدب الاجتماعي" المغرض والذي لا يتجاوز الكياسة والمجاملة والمداورة إلى مرتبة "التخلق" المخلص الذي ينشد الكمال في السلوك»²⁸، فيتعاوض بذلك التهذيب التواصل بالعمل الإجرائي.

2.2. الذات المقابلة الراضية للتوحيد وفعل خرق التهذيب:

انتهج قوم نوح عليه السلام في ردّهم على نبيهم أسلوبا مغايرا لأسلوبه المتسم بالتهذيب حيث استعملوا التهديد، حيث بدأ أقل حدة حين اتهموه بالكذب، وهو تهديد لصفة رئيسة يتصف بها الرسل جميعا وهي "الصدق" بعدما قيّمت الذات المقابلة الراضية للتوحيد دعوى ذات التبليغ تقييما سلبيا، ولكن بعدما اتاهم بحجّته في قوله ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَنَا نِي رَسُولٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَفَعَلْتُمْ عَظِيمًا﴾ (سورة هود) لجأوا إلى التهديد المباشر الذي يخرق قاعدة التهذيب في المحادثات فيدخله في دائرة العنف اللفظي الذي يهدم بنية المناظرة فيبعداها عن المقصد الأصلي لها.

وقد واصل القوم خرق قاعدة التهذيب بشكل أكثر حدة عن الأول حين خاطبوا نبيهم بقولهم ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ 116﴾ (سورة الشعراء)، فهذا القول يحمل تهديدا مباشرا بالرجم من جهة أخرى وهو ما يُبين عن وجه سلمي لقوم نوح عليه السلام الذين يهددون الوجه الدافع لنبيهم، والذي هو في مقام دعوتهم إلى خير يلقونه عند رب العالمين.

3.2. دور الملطّفات اللّغويّة في تنامي التّفاعل القولِي:

كادت الملطّفات اللّغويّة تغيب في هذه المحادثة لولا توجيه نوح عليه السلام حديثه لقومه بندايم (يا قوم) والذي عزّز علاقة القرب بينها في بداية المناظرة وفي خضمّها، وأظهر بذلك العلاقة الاجتماعية التي تجمعهما قبل الدعوة ومقصد الدعوة الخادم للقوم.

بدأ إبراهيم عليه السلام مناظرته مع أبيه بحوار لطيف يمتاز بالصدق في الدّعوة، واستعمل في مناداته أرقّ لفظ يمكن أن يسم العلاقة بين (أب وابنه) وهو مناداته بـ(يا أبت) في سياقات مختلفة، وهذه العبارة التي تعدّ من أقوى الملطّفات اللّغويّة ظهرت العلاقة الحميمة المخصوصة وأحسّ بها المتلقّي رغم اختلاف المعتقد، ليستمر تنامي الحجج المشكّلة للمناظرة.

كما تحرّى سيّدنا إبراهيم عليه السلام الصّدق في تبليغ رسالة الله تعالى إلى والده، وهي تبليغ التّوحيد ودعوة والده إلى ترك عبادة الأصنام بعدما رزقه الله علما خاصّا (الوحي)، وتحرّى فضلا عن ذلك طرقا ليّنة لتبليغ قصد المناظرة الأساس التي ارتضاها لمخاطبة والده، فاستعان لذلك بحجج قويّة تدحض معتقد أبيه وترسخ معتقد التّوحيد دون أن يكون هناك انزلاق في الخطاب لا يليق بمكانة الطرف الثّاني (والده)، قال الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام ﴿...اتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (43)﴾ (سورة مريم)، ففي هذه العبارة شحنة واضحة من اللّين وحسن القول إظهارا للحقّ، والحقّ مقصد المناظرة القرآنيّة الذي يُبتغى إدراكه بغضّ النّظر عن معتقد من ظهر على يديه الحقّ، فليس المقصد من التّناظر في القرآن الكريم إظهار الغلبة على

المعتزض وإنّما القصد هو الإرشاد وحمله على مسألة أفكاره ومراجعتها استنادا على ما قدّم من حجج وبراهين ترمي إلى تحقيق المنفعة والإصلاح.

لقد افتتح إبراهيم عليه السّلام دعوة أبيه إلى الله تعالى بالملطّفات اللّغويّة كما ذكرنا، ثمّ بادره بسؤال يعمل على التّشكيك في معتقد أبيه ولكن بصيغة مهذّبة، لطيفة، تحفظ ماء وجه أبيه ومكانته كزعيم القوم، قال الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السّلام ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (42)﴾ (سورة مريم)، ففي هذا السّؤال الاستنكاري الذي جاء على لسان سيّدنا إبراهيم عليه السّلام دمج للجانب التّهذيبيّ الأخلاقيّ بوجوب العمل على ترك الشّيء الضار وابتغاء تحصيل الشّيء النافع (ترك عبادة الأصنام والتحوّل إلى عبادة الله تعالى).

لقد فعّل الجزء الأوّل من الخطاب الشكّ في صحّة معتقد آزر، وشكّل فعلا رئيسا يستوجب دحض هذا المعتقد الخاطئ واستئصاله بالحجّة البيّنة والعلم الصحيح، قال الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السّلام ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (43)﴾ (سورة مريم)، ففي هذا الكلام الذي يُفتتح بالملطّف اللّغوي (يَا أَبَتِ) دعوة مباشرة أبان عنها فعل الكلام (فاتّبعني) فيه أمر للتخلّي عن معتقد الشّرك واتباع الصّراط السويّ الذي جاء نبيّ الله عن طريق العلم (الوحي).

إنّ هذا الاستهلال الذي افتتحت به هذه المناظرة جزء هام من فعل التّهذيب الرئيس الذي امتازت به المناظرة أجمع، فهي استراتيجية توجّه القول وتحيلنا على علاقة جدّ هامة وهي علاقة المتكلّم بما يقول وعلاقة المتكلّم بالمخاطب كما ذكرنا في الفصل الأوّل، ممّا يسمح بتدافع الكلام وفق تفاعل قوليّ سلس يحفظ ماء وجه المتكلّم، خاصّة إذا كنّا أمام حالة خاصّة وهي مخاطبة الابن لأبيه والتي تستدعي وفقا للعلاقة الاجتماعيّة الحميمة زيادة في التّهذيب واختيارا دقيقا للملطّفات اللّغويّة المناسبة للسياق ومقام المخاطب.

ومن أجل تحقيق هذا المقصد الهام، واصل سيّدنا إبراهيم عليه السّلام سلسلة العبارات الملطّفة في إقامة الدعوة ومحاولة تغيير معتقد الشّرك، فكان أن استمر في

الاعتماد على استراتيجية التقرب من أبيه عن طريق مناداته بلفظ (يَا أَبَتِ) في كل عبارة يخاطبه بها، ومفعلاً بذلك استراتيجية حجاجية إقناعية ضمنية مررها عبر استراتيجية التهذيب وهي ربط السبب بالنتيجة، حيث ربط سبب دعوته إلى ترك عبادة الأصنام بنتيجة هذه العبادة الفاسدة، قال الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (44) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (45)﴾ (سورة مريم)، فعبادة الأصنام تؤدي إلى عبادة الشيطان، وعبادة الشيطان تؤدي إلى إنزال العذاب من الله تعالى، ف«الدخول في المخاطبة يقتضي تشغيل المدارك كلها، سواء منها الحسية أو العملية فالمخاطب لا يعقل من المتكلم قوله فحسب، بل يُراقب سلوكه أيضاً، كما أن المتكلم لا يلاحظ من المخاطب حاله في الإنصات فحسب، بل يعقل منه فهمه أيضاً»²⁹، وإبراهيم عليه السلام قدّم لأبيه من هذا المنطلق حججا تتوزع على مستوى الفهم العقلي من جهة وعلى مستوى العمل من جهة أخرى، فمتى اقترن المفهوم باللموس كان أوضح للفهم وأسهل للإدراك.

ولما كانت «قاعدة الصدق تُدخل عنصر التقرب... من جهة الزيادة من صدق الأقوال والأفعال وصدق المطابقة بينهما»³⁰ فإن اعتماد نبي الله إبراهيم على الفعل الذاتي (أَخَافُ) يفعل في هذا المقام ملطفاً لغوياً يبين صدق دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه، ويعزز شحنة عاطفية خاصة تنعكس في هذه المناظرة من علاقة خوف أب على ابنه، إلى علاقة خوف ابن على أبيه وهي من أرق العلاقات الإنسانية وأقوى مراتب البر، وقد وصف الله تعالى سيدنا إبراهيم عليه السلام بهذه الصفة العظيمة بل وفيها استزادة في درجة الصدق عن المعتاد في الأشخاص، حيث جاءت صفة "الصدق" على صيغة المبالغة (صديق)، قال الله تعالى ﴿وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (41)﴾ (سورة مريم).

وتعتمد قاعدة الإخلاص على قاعدة أساس وهي «أن يقدم المتكلم حقوق المخاطب على حقوقه»³¹، وهذا المسلك هو الذي انتهجه إبراهيم عليه السلام في دعوة أبيه إلى عبادة الله تعالى وذلك باتخاذ مسلك اللين والقول الحسن، وقدّم بذلك طاعة

الأب وحقه لأنه من طاعة الله تعالى والتمس تحري البر في كل جملة خاطبه بها، وعلى الرغم من الأسلوب العنيف الذي ردّ به آزر على ابنه إلا أنه ظلّ يتوخّى اللين واللطف (الملطفات) في التعامل معه، ومضى قدما في تحقيق معنى الإخلاص في مناظرته لأبيه، وهذا ما يبين عن المقصد الأساس للتناظر القرآني (وهو الدعوة إلى الله بالتي هي أحسن ابتغاء وجه الله).

لقد سارت وتيرة المناظرة بين إبراهيم عليه السلام مع أبيه سيرا مميّزا من طرف إبراهيم عليه السلام الذي تحرّى جانب التهذيب في مناظرته لأبيه، وقدم حقوق أبيه على حقوقه، فلجأ إلى ملطّفات لغويّة تكرّس علاقة القرب الحميمة التي تجمعهما في إطار العلاقة الخاصّة (الأبوة-البنوة)، واعتمد على علامات لإحداث التقارب بينه وبين أبيه رغم أنه موجود أصلا نظرا للعلاقة العائليّة الخاصّة التي تربطهما، فصغّر كلمة "أب" لتصير "يا أبت" وهي عند النحويين من علامات القرب، غير أن آزر لم ينتهج التهج نفسه، ولم يقدّم حقّ البنوة على المعتقد، بل واجه ابنه مواجهة حادة خارقا بذلك قواعد التهذيب التي أرساها ابنه في المناظرة وعمل على الانتصار لمعتقده دون مراعاة لخصوصيّة علاقته بابنه، ولم يكن كلامه مع ابنه بمناداته بـ"يا بني" تقريبا له وتحديدًا لانتمائه إليه، بل ناداه باسمه، قال الله تعالى على لسان آزر ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِي يَٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (سورة مريم)، ممّا يُنتج خطابا غير متوازن بين الطرفين من حيث نوع العلاقة، فمقابل علاقة القرب التي سعى إليها إبراهيم عليه السلام قام والده بتعطيلها وسعى لإبعاده خاصّة باعتماده على ضمير المخاطب (أنت) وتقريب الآلهة بنسبها لنفسه حين عزّفها بقوله (آلتي)، فأعلى بذلك من شأن الآلهة وأبعد ابنه، وفي ذلك تهديد لوجه إبراهيم عليه السلام الدافع (الوجه الإيجابي)، منه تصير الاستراتيجيتان الحجاجيتان المبنيتان على فعل التهذيب وعلى خرقه في عرض الحجّة ودحضها متباينتان.

هيمنت علاقة البعد التي وسمت الألفاظ المنتقاة في بداية المناظرة من طرف آزر، ليقابل ابنه بعد ذلك بردّ فعل عنيف، اتّجه به نحو التّغليب الحجاجي خارقا بذلك أسلوب التهذيب الذي ساد المناظرة من جهة إبراهيم عليه السلام، وقدم حجّة فرضها بقوة المكانة التي يحتلّها بين قومه باعتباره سيّد القوم وزعيمهم، فقد أسند الألوهيّة إلى أصنامهم دون أن يقدّم حججا وبراهين على قوله وإنّما فرض ذلك بعامل

القوة، ليستمرّ في فرض قوّته وسيطرته دون حجاج عقليّ سليم فقال لابنه مهّددا ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ (46) (سورة مريم)، وفي الكلام فعل قول تمثّل في الأمر (تَنْتَهِ) والذي يعمل على تهديد الوجه الجالب (الوجه الإيجابي) لإبراهيم عليه السّلام، وهو الذي بسط أدلّته باللّين والحسنى، عاضدا إيّاها بأساليب التّهذيب الراقية والتأدّب الأقصى.

وقد واصل أزر توسّعه في التّهديد باستعمال سلطته الاجتماعية مؤثرا بذلك المكانة الاجتماعية على العلاقة الأبوية بآبائه ووائدا بذلك جميع الملطّفات اللّغوية التي قد تدور في فلك حوار أب بابنه، فهذّده بالرجم والهجر، وفيهما تهديد على حصول عذاب آني (الرجم) وعذاب قد يكون طويل الأمد (الهجر)، وذلك لثنيه عن الدعوة إلى الله تعالى.

أمّا في مناظرة موسى عليه السّلام مع اليهود فقد ارتبطت الدّات بفعل التّهذيب من جانب موسى عليه السّلام حين بادروهم بتبليغ الأمر الرّبّاني، قال الله تعالى على لسان موسى عليه السّلام ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً...﴾ (67) (سورة البقرة)، فلم ينسب الأمر لنفسه بل نسبّه لله تعالى، ولما عرّف مصدر الأمر تمّ تحديد قصد التواصل التناظريّ بين اليهود ونبيّهم، والذي استلزم نوعا خاصّا من الاستدلالات المعرفيّة التي تبتغي توضيح سبب هذا الأمر وطرق إنجازه.

غير أنّ قصد الرسول في هذه الحالة لم يُقرأ القراءة السّليمة من طرف اليهود الذين ردّوا عليه ردّا سلبيا ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوعًا...﴾ (67) (سورة البقرة)، وفي هذا الردّ اعتراض على الإرادة الإلهيّة وعلى أمره جلّ جلاله، ليردّ موسى عليه السّلام ردّا تهذيبيّا يكرّس العلاقة التّهذيبيّة الخاصّة التي تربط بين النبيّ وبرّه، قال الله تعالى على لسان موسى عليه السّلام ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (67) (سورة البقرة)، ففي هذا الردّ تقنين لمقاصد الرسل التي تمسّ الأقوال والأفعال وتحكم دعوتهم إلى الله تعالى ضمن مقصد أسى يتجلّى في الإخلاص والصّدق مع ربّ العالمين.

تحرى سيّدنا موسى عليه السّلام الصّدق في دعواه لقومه (اليهود)، وهذا ما يتجلّى في تبليغ رسول الله موسى الأمر الإلهي إلى قومه دون زيادة أو نقصان، قال الله

تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ (سورة البقرة)، كما يتكرّر الفعل العائد على الله مرّات عديدة وهذا ما يُعَلِّي من قيمة صدق نبيّ مع الله تعالى، ومن صفات الوسيط الأساسية وهي الحرص على تبليغ الأوامر بحذافيرها.

وقد توحّى موسى عليه السّلام مسلك اللّين في القول لبلوغ مقصد الدعوة إلى الله تعالى وإقناع قومه بالتي هي أحسن، وقام بتذكير قومه في مرّات عديدة بأنّ الأمر ربّانيّ حيث ردّد في كلّ جملة الفعل (يقول) العائد على الله تعالى حتّى يستشعروا مسؤوليّتهم الأخلاقية أمام الله وصدق نبيّهم في نقل الأمر الربّاني، غير أنّ قومه ماطلوا في الاستجابة وأنشأوا علاقة تباعد بينهم وبين نبيّهم حين قلّلوا من قيمة الأمر الذي جاء به، وقلّلوا بذلك من احترام نبيّهم وشكّكوا في صدقه وأمانته، ليأمرهم بعد المماطلة بتنفيذ الأمر الربّاني ويهدّد الوجه الجالب (الوجه السّلي) لليهود، قال الله تعالى على لسان موسى عليه السّلام ﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (68)﴾ (سورة البقرة)، ففي فعل الكلام (فَافْعَلُوا) أمر للتوقّف عن المماطلة وتنفيذ الأمر الربّاني والالتزام به.

فضلا عن الصّدق، فقد أخلص سيّدنا موسى عليه السّلام لله تعالى إخلاص أوّل العزم من الرسل الذين تحمّلوا المشاق من أجل تبليغ رسالة ربّ العالمين، فرغم تعنّت اليهود وتماطلهم في تطبيق الأمر الربّانيّ، ورغم معرفتهم بالمكانة العليا التي يتبوّؤها وهي (النبوّة)، إلّا أنّه وبصفته رسول الله قدّم المصلحة العليا على المصلحة الشخصية، فاستمرّ في توصيف البقرة حتّى يوصلهم إلى الاقتناع بالتّشريع الطّارئ لمعالجة قضيّة حسّاسة بين القوم، ولإخلاص سيّدنا موسى عليه السّلام الكبير دور عظيم في احتواء جهل القوم ونزعتهم التعنّيتيّة وقلة احترامهم لنبيّهم.

ورغم هذا السّعي العظيم لاحتواء التّزعة التعنّيتيّة، فإنّ الذّات المقابلة الراضية للتّوحيد لجأت إلى فعل هدم التّهذيب بإيرادها لسؤال استنكاريّ يهدّد الوجه الجالب (الوجه الإيجابي للنبيّ) فقالوا لرسولهم بعد إبلاغهم بأمر الله تعالى عن البقرة ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾، فالرسول يوقّر ولا يُهّم ولا يُجادل، لكن في هذا الردّ على الأمر الإلهي غرور أصاب اليهود الذين استهجنوا أمر ذبح البقرة ولم يدركوا الحكمة من ورائه لأنّهم بشر، والبشر لا يعلمون الغيب.

ثم إنَّ هذا الردُّ أنزل مكانة سيِّدنا موسى عليه السَّلام إلى مكانة أقلَّ ممَّا يجب أن يكون عليها، فهو رسول الله الذي يبلغ رسالته وأوامره ونواهيه، والأجدر أن تطبَّق أقواله لأنَّها من عند الله تعالى وليست من عند نفسه، واليهود على علم بأنَّ موسى عليه السَّلام صاحب المكانة العليا بين القوم، غير أنَّهم في هذا الموقف اغتروا بأنفسهم وأنزلوها منزلة لا تجب لها، ليخرقوا بهذا الفعل فعل التهذيب واستمروا في ذلك حين واصلوا طلب توصيف البقرة أكثر من مرَّة تعطيلًا للتَّشريع الرِّباني.

3. خاتمة:

وفي ختام هذا المقال نخلص إلى القول أنَّ:

- عمليَّة تشكُّل الحجاج في المناظرات كانت وفق تخطيط هندسيٍّ ذهنيٍّ، وجاءت اللُّغة لتُبَيِّن عنه وتبلِّغه للمتلقِّي (اللُّغة وسيلة تبليغ لا غاية إقناع)، ومتى اجتمعت السُّلطانان "سلطة الفكر وسلطة اللُّغة" تأتَّى الإقناع والتأثير، وصارت الحجج وسيطا نفهم من خلالها الآليَّات الذهنيَّة التي تنشأ داخل فكر الشَّخص.

- أبانت عناصر الدراسة على ضعف الاستراتيجيَّات الحجَّاجيَّة العقليَّة والذهنيَّة لدى أقوام الرسل أو الخصوم، وحدثت عمليَّة تكرار الحجج نفسها ولو اختلف الرسول ومعه الحقبة الزمنيَّة وعدم قدرتهم على توظيف استدلال منطقيٍّ يمنح أضعف حججهم، وفي مقابل ذلك فإنَّ رسل الله تعالى تبنَّت استدلالات عقليَّة راعت المكان والمقام ممَّا جعلها تحقِّق مبدأ الملاءمة في معالجة معتقدات الأقوام ودحض أفكارهم ونشر أفكار تلائم البيئة الاجتماعيَّة والمعرفيَّة لكلِّ واحد منهم.

- إنَّ دراسة الحجاج من منظور معرفيٍّ جعلنا ننقل تكوُّن الحجج من اللُّغة إلى الذَّهن الذي يكون أوَّل موطن لها، فبناء أيِّ حجة ينطلق من مختبر رئيس وهو ذهن المحاجج الذي يبحث في المعنى الذي يناسب مقام التناظر ويحدِّد قوَّة أو ضعف الحجَّة التي سيبنمها تصوُّره الذهني بمراعاة الجوّ الثَّقافيِّ والاجتماعيِّ لبيئة التناظر والذي هو عنصر فعَّال فيه وفي بناء الحجَّة في مختبر الذَّهن يستوجب إعطاء أولويَّة للقصدية المبتغاة وراء إنتاج الحجَّة الذهنيَّة والتي ستجسِّدها اللُّغة لحظة الإعلان عنها نطقاً وتبليغها للخصم.

- إن ظاهرة التّهذيب بنوعيه الإيجابي والسلبي متجذّرة في التفاعلات القوليّة ومتعلّقة بطرفيّ التناظر، ممّا يُبين عن نوعيّة العلاقة التي تربط بينهما، فضلاً عن أنّ التّهذيب نشاط ذهنيّ ينبثق عن الأرضيّة الذهنيّة المترسّخة لدى العارض أو المعارض، وهي أرضيّة تستند إلى المكوّن الأخلاقيّ ضمن محوري: حسن/قبيح.

- كما نستخلص أنّ أطراف المناظرات قد استعملوا التّهذيب كاستراتيجيّة حاجيّة تعتمد على اللّين والملطّفات اللّغويّة من جانب ذوات الرسل من أجل تبليغ رسالة الله تعالى، وتعتمد على العنف والتّغليب والحجاج بالقوّة من جانب الذوات المقابلة الراضية للتّوحيد وذلك من أجل الانتصار للمصلحة الفرديّة الكافرة بأنعم الله تعالى.

- استراتيجيّة التّهذيب هي ركيزة من ركائز المناظرة القرآنيّة القائمة على اللّين والملطّفات اللّغويّة التي تعمل على تقنين التّفاعل القوليّ لنقيّمه من الجانب الأخلاقيّ إمّا إيجاباً وإمّا سلباً، فضلاً عن أنّه استراتيجيّة فعّالة لإحداث الإقناع والاقتران بفضل اجتماع العمل والقول معاً.

*** **

الهوامش:

¹ عبد الكبير الحسني، آليات بناء الحجاج: من اللّغة إلى الدّهن، مجلّة روابط، دوريّة علميّة فصليّة دوليّة محكمة متخصصة في اللّغة والنقد الأدبي، العدد الأوّل، المجلّد الأوّل، مؤسسة المثقّف للنشر والتّوزيع، باتنة، الجزائر، ط1، 2018، ص78.

² المرجع نفسه، ص78.

³ م ن، ص ن.

⁴ كاترين كيربرات أوروكيوني، فعل القول من الدّاتيّة إلى اللّغة، ترجمة: محمّد نظيف، إفريقيا الشرق، الطبعة الأولى، 2008، ص33.

⁵ عبد الرحمان محمّد طعمة، البعد الدّداوليّ للنّسق الحواريّ في القرآن الكريم: مقارنة معرفيّة حاجيّة، قرآنیکا، مجلّة عالميّة لبحوث القرآن، مركز بحوث القرآن، العدد 01، جامعة ملايا، ماليزيا، 2018، ص90.

⁶ المرجع نفسه، ص ص 90-91.

⁷ عبد الكبير الحسني، آليات بناء الحجاج: من اللّغة إلى الدّهن، ص ص 78-79.

⁸ المرجع نفسه، ص78.

⁹ م ن، ص79.

- ¹⁰ عبد الرحمان محمد طعمة، البعد التداولي للنسق الحواري في القرآن الكريم: مقارنة معرفية حجاجية، ص ص 99-100.
- ¹¹ عبد الرحمان محمد طعمة، البعد التداولي للنسق الحواري في القرآن الكريم: مقارنة معرفية حجاجية، ص 113.
- ¹² المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- ¹³ الغصب في المناظرة هومنع مقدمة الدليل وإقامة الدليل على نفيها قبل إقامة المعلل الدليل على ثبوتها سواء لزم إثبات الحكم المتنازع فيه ضمنا أم لا.
- ¹⁴ عبد الرحمان محمد طعمة، البعد التداولي للنسق الحواري في القرآن الكريم: مقارنة معرفية حجاجية، ص 114.
- ¹⁵ المرجع نفسه، ص 114.
- ¹⁶ رمزي تفيقة، مناهج المتكلمين في الجدل والمناظرة، دار كنوز المعرفة، ط1، الأردن، 2016، ص ص 433-434.
- ¹⁷ عبد الرحمان محمد طعمة، البعد التداولي للنسق الحواري في القرآن الكريم: مقارنة معرفية حجاجية، ص 114.
- ¹⁸ المرجع نفسه، ص 115.
- ¹⁹ عبد الكبير الحسني، آليات بناء الحجاج: من اللغة إلى الدهن، ص 80.
- ²⁰ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- ²¹ الرازي فخر الدين، التفسير الكبير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1981، ج 24، ص 128.
- ²² الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 19، ص 118.
- ²³ عبد الرحمان محمد طعمة، البعد التداولي للنسق الحواري في القرآن الكريم: مقارنة معرفية حجاجية، ص 115.
- ²⁴ المرجع نفسه، ص ص 115-116.
- ²⁵ نموذج لأكوف، نموذج بنلوب براون وستيفن لفنسون ونموذج ليتش.
- ²⁶ طه عبد الرحمن، أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، 2000، ص 241.
- ²⁷ المرجع نفسه، ص ص 252-253.
- ²⁸ م ن، ص 253.
- ²⁹ طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1998، ص ص 251، 252.
- ³⁰ المرجع نفسه، ص 252.
- ³¹ م ن، ص ن.